الإشارات البلاغية في كتاب (إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز) لبديع الزمان النورسي دراسة تحليلية

م.م.دلير محمود مصطفى*

Dler mahmud Mustafa

الإيميل: dler.m.mustafa@su.edu.krd

رمز أوركيد : https://orcid.org/ ٠٠٠٩-٠٠٠٣-٧٤٦٨-٢٦٥٧

أ.د. دلدار غفور حمد أمين

Prof. Dr. Dildar Ghafoor Hamad Amin
deldar.hamadameen@su.edu.krd

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن تجليات الإشارات البلاغية في كتاب (إشارات الإعجاز في مظانّ الإيجاز) لبديع الزمان سعيد النورسي(ت١٨٧٧م) رحمه الله، من خلال دراسة تحليلية لمسائل بلاغية متفرقة أبرزها: (نظم المعاني، السحر البياني، الأسلوب بوصفه قالب المعاني، قوة الكلام واتساقه، مستتبعات التراكيب، مراتب المعاني، الخيال المرتكز على الحقيقة، ودلالة الحروف) وقد أبرز البحث كيف أن النورسي لم يكتفِ باستحضار التراث البلاغي العربي، بل وظّف أدواته في إطار إصلاحي معاصر يخدم إثبات إعجاز القرآن وبيان أثره العقدي والإرشادي. والنتيجة المركزية أن النورسي أعاد صياغة مفاهيم البلاغة والنظم في ضوء تجربته الإيمانية والفكرية، مقدّمًا قراءة تفسيرية تمثل امتدادًا لأصول عبد القاهر الجرجاني، مع إضافات تحليلية ذات طابع تجديدي.

الكلمات المفتاحية: إشارات الإعجاز، البلاغة ، النورسي ، بلاغة النظم.

Abstract:

This research aims to reveal the manifestations of rhetorical references in the book "Isharat al-I'jaz fi Mazann al-Ijaz" (Signs of Miraculousness in the

* جامعة صلاح الدين/ كلية التربية– مخمور/ قسم اللغة العربية.

Sources of Conciseness) by Bediuzzaman Said Nursi (d. ١٨٧٧) may Allah have mercy on him, through an analytical study of various rhetorical issues, most notably: (the order of meanings, eloquent expression, style as the mold of meanings, the strength and coherence of speech, structural implications, levels of meanings, imagination grounded in reality, and the significance of letters). The research has highlighted how Nursi did not merely invoke the Arab rhetorical heritage, but rather employed its tools within a contemporary reformist framework that serves to establish the Qur'an's miraculousness and demonstrate its doctrinal and guidance impact. The central conclusion is that Nursi reformulated the concepts of rhetoric and textual order in light of his faith-based and intellectual experience, presenting an interpretative reading that represents an extension of Abd al-Qahir al-Jurjani's principles, with analytical additions of an innovative character.

Keywords: Signs of Miraculousness, Rhetoric, Nursi, Rhetoric of Textual Order.

المقدمة:

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى، أما بعد: فيُعدّ كتاب (إشارات الإعجاز) من أهم مؤلفات النورسي(رحمه الله) التي عكست اهتمامه البالغ ببيان القرآن الكريم وإعجازه وقد ألّفه في ظروف استثنائية خلال الحرب العالمية الأولى، فجاء مختصرًا، لكنه زاخر بالتأملات البلاغية والنحوية التي تكشف عن عمق وعيه بالنظم القرآني، لم يكن اهتمام النورسي بالإعجاز ترفًا بلاغيًا، بل ضرورة عقدية تستند إلى قناعته بأن القرآن الكريم هو حبل النجاة في مواجهة تحديات العلمنة، والانحراف من هنا جاءت معالجته لمسائل الإعجاز معالجة علمية وروحية في آن واحد، إذ أبرز أن البلاغة الحقة تنبع من نظم المعاني وتكاملها، لا من زخرفة الألفاظ، وأن قوة البيان القرآني تكمن في انسجام تراكيبه، ومرونته الدلالية، وسموه الأسلوبي الذي يعجز عنه البشر جميعاً.

إشكالية البحث: تنطلق هذه الدراسة من إشكالية علمية محورية، يمكن تلخيصها في السؤال الآتي:

- كيف وظّف النورسي نظرية النظم لإبراز وجوه الإعجاز؟
- ما أبرز الدلالات البلاغية التي كشف عنها في تحليله للآيات القرآنية؟
- إلى أي مدى أسهم منهجه في تقديم رؤية تجديدية في البلاغة القرآنية؟

أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى:

-إبراز ملامح التفكير البلاغي عند النورسي من خلال كتابه (إشارات الإعجاز).
- الكشف عن دلالات الإعجاز البلاغي في نصوصه التحليلية.
- بيان الأثر المنهجي لنظرية النظم في مقاربته للبيان القرآني.
- المساهمة في إغناء الدراسات البلاغية المعاصرة من خلال قراءة نصوص النورسي قراءة تحليلية تجمع بين الأصالة والتجديد.

الدراسات السابقة: تناولت بحوثٌ معاصرة جوانب الإعجاز والبيان في (إشارات الإعجاز) من ذلك دراسة (الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم: كتاب إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز للنورسي) للباحثة: حورية الأخضر بن سعدي، وهي دراسة تُعنى بتحليل أوجه الإعجاز القرآني عند النورسي، ودراسة (فلسفة الإعجاز البلاغي عند النورسي) للباحث: لؤي حاتم يعقوب، وهذه الدراسة أيضا تناولت أوجه الإعجاز البلاغي.

التمهيد: التعريف بالمؤَلّف والمُؤَلِف:

نبذة يسيرة عن حياة بديع الزمان النورسي:

إنّ بديعَ الزّمان سعيد النّورسي (رحمه الله) من الشخصيّاتِ الّتي أثّرت في عالمنا العربي والإسلامي، وتركَتْ أثراً واضِحاً في وجهِ التّاريخ، ولهذا لا يمكنُ أنْ نتناولَها تناولاً سَرْديّاً مَحْضاً، إذ هو على خِلاف الشخصيّات الأُخرى كان ولا يزالُ أنموذجاً لداعيةٍ إسلاميّ فريدٍ من نوعِه؛ وقد واجهَ التحديّاتِ والأزماتِ – الّتي حلّت بالعالَم الإسلاميّ – بشجاعةٍ فذّة، وعبقريّةٍ قلَّ نظيرُها، وقد عاصرَ سقوط الخلافة الإسلاميّة، وصعود العَلْمانيّة في تركيا. فحزَّ في نفسِه ذلك الصِّراع الحضاريّ، الّذي بدأ مبكّراً بين العقيدة الإسلاميّة والمنظومة العَلْمانيّة؛ فجنّد فكرَهُ وقلمَهُ من أجلِ إنقاذ الإيمان، وتقوية آصرة المجتمع الإسلاميّ بالقُرْآن الكريم من خلال (رسائل النور) الّتي أبدعها بروحٍ إيمانيّة وثّابة، وقد وضع مَنْهجاً إصلاحيّاً يجمعُ بين الحِفاظ على الدِّين ومُواكبة العصر، فكانَتْ حياتُه مثالاً للإيمانِ الحيّ، والعقيدة الصّحيحة، والصَّبر والمُصابرة، والإبداع والنّبوغ، والتّقوى والربّانية، ممّا جعله رَمْزاً للإصلاح، والثّبات في وَجْهِ الأزمات.

وُلِد بديع الزمان سعيد النورسي في قرية نُورْس، إحدى قرى قضاء خيزان (هيزان) التابعة لولاية بتليس شرقي الأناضول من أبوين كرديّين، عام ١٢٩٣هـ/١٨٧٧م، في بيئة طبيعيّة خلابة بين الجبال الشامخة، وقد نشأ في بيتٍ معرُوفٍ بالتديُّن؛ حيث كان والِدُه الصوفي ميرزا مثالاً للورع والتّقوى، فلم يُدخل على بيته لقمة حرام قطّ، كما كانت والدته نورية حريصة على طهارتها ووضوئها أثناء رعاية أطفالها، وقد تأثر سعيد بتوجيهاتِ أخيه الأكبر المُلّا عبد الله، مِمّا دفعه إلى طلب العلم في سنِّ التّاسعة. بدأ رحلته العلمية بالتنقل بين المدارس في القرى والأقضية المجاورة، واستطاع بفضل ذكائه

الحادّ وحافظته المذهلة أنْ يبرع في مختلف العلوم. ولم يكد يبلغ الثامنة عشرة حتّى أصبح من فحول العلماء، حيث أتقن علوم اللغة والأصول والفقه وعلوم القرآن، ومن إنجازاته البارزة حفظه لكتب صعبة كـ(القاموس المحيط)، و(جمع الجوامع) في فترة وجيزة، مِمّا جعله حديث المجالس، وحاز لقب "سعيد المشهور" بين العلماء وطُلّابهم. هذه النشأة الفريدة بين بيئة طاهرة، وأجواء علميّة مُميّزة؛ صنعت من النورسيّ عالِماً فريداً من نوعه، ومهّدت الطّريق لدوره الكبير في الإصلاح الديني والفكري لاحقاً. (البوطي ١٩٩٧، ص٣١٦-٣١٧). هذه هي البيئة الدينية التي نشأ فيها الأستاذ النورسي، وترعرع تحت ظِلّها، مِمّا جعله واحِداً من العلماء البارزين الّذين ذاع صيتهم في العالَم الإسلاميّ، وكانت وفاته في مدينة (أورفة) فجر يوم الأربعاء ٢٦ رمضان ١٣٧٩هـ- ١٩٦٠/٣/٢٣م([1])

وقد مرّ النُّورسي في حياته بمرحلتين؛ وهما: مرحلة (سعيد القديم) التي أطلق عليها النورسي هذا الاسم بنفسه. استمرّت هذه المرحلة حتى إقامته الجبرية في (بارلا) عام ١٩٢٦م، نتيجة مواقفه وآرائه الّتي لم توافق توجهات النظام العلماني الجديد في تركيا آنذاك. ويشير النورسي إلى ذلك؛ بقوله: "إلى هنا كانت حياتي طافحةً بخدمة البلاد، وَفْق ما كنت أحمِلُه من فكرةِ خدمةِ الدِّين عن طريقِ السِّياسة. ولكن بعد هذه الفترة وَلّيتُ وجهي كليًّا عن الدنيا، وأقبرتُ (سعيدًا القديم)..."([2]) ، وأمّا المرحلة الثانية؛ فهي مرحلة (سعيد الجديد)، وهو الاسمُ الّذي أطلقَهُ على نَفْسِه؛ بعد أنِ ابتعد عن الحياة السياسة؛ مُتبنّياً شعارَهُ الشَّهير (أعوذ بالله من الشيطان والسياسية)، وفي ذلك يقول:" أصبحتُ سعيداً جديداً؛ يعيش كليّاً للآخرة، فانسللتُ من حياة المجتمع، ونفضتُ يدي عن كلِّ ما يخصهم، فاعتزلت الناس تماماً... بتُّ في مجاهدة مستديمة مع رُوحي ووجداني، انفردت إلى عالمي الروحي رافعاً شعارَ (أعوذ بالله من الشيطان والسياسة). صرفتُ كلّ همّي ووقتي إلى تدبُّر معاني القرآن الكريم، وبدأت أعيش حياة (سعيد الجديد)... وفي هذه الأثناء؛ تولدتْ من صميم قلبي معانٍ جليلة نابعة من فيوضات القرآن الكريم؛ أمليتها على من حولي من الأشخاص، تلك الرَّسائل الّتي أطلقتُ عليها اسم (رسائل النور)" ([3]).

التعريف بكتاب إشارات الإعجاز في مظانّ الإيجاز :

تحتلُّ حركة التّأليف مكانةً بارِزةً في حياة النُّورسي، إذ كان يُركِّز على الدِّراسات الّتي تخدم القرآن الكريم. ويمكننا أنْ نلمسَ أثرَ هذه الحركة في أعماله؛ ومنها: كتاب (إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز)، الّذي يعكس اهتمامه العميق ببلاغة القرآن وإعجازه. وقد أولى النُّورسي اهتماماً خاصّاً باللغة العربية في تلك المَرْحلة، لإدراكِه أنّها لغةُ القرآن الكريم، وأنّ

[1] -نظرة عامة عن حياة بديع الزمان سعيد النورسي : إحسان قاسم الصالحي، ص١٠

[2] - الشعاعات: سعيد النورسي ، ص٥١٤

[3] - المصدر نفسه: ص٥١٤

البلاغةَ اللغويَّة؛ تتجلَّى من خلالها. ويُعَدُّ كتاب (إشارات الإعجاز)؛ أنموذجاً فريداً في تفسير القرآن الكريم، حيث يمتاز النُّورسي بجَمْعِه بين التفسير اللغوي العميق والمعاني البلاغية الدّقيقة، مستنداً في ذلِك إلى علوم اللغة والنَّحو والإعراب. يعرض النُّورسيّ في هذا الكتاب؛ تحليلاً دقيقاً لكلماتِ القُرْآن الكريم من حيثُ أصولُها، واشتقاقاتُها، واستعمالاتُها، مِمّا يجعله أشبهَ بمُعْجَم قرآني مُتخصِّص في الكشف عن الجوانِب اللغوية والإعجازية للنصّ القرآني. وقد أشارَ النُّورسي إلى وقتِ تأليفِه؛ بقولِه: "لقد تمَّ تأليفُ تفسير (إشاراتُ الإعجاز) في السَّنة الأولى من الحَرْبِ العالميّة الأولى على جبهة القتال بدون مصدر أو مَرجع، وقد اقتضتْ ظروفُ الحَرْب الشاقّة، وما يُواكبها من حِرْمانٍ أن يُكْتب هذا التّفسير في غاية الإيجاز والاختصار لأسباب عديدة.

وقد بقيت الفاتحةُ والنصف الأول من التفسير على نحو أشدَّ إجمالاً واختصاراً:

أولاً: لأنّ ذلك الزّمان لم يكن يسمح بالإيضاح، نظراً إلى أنّ (سعيداً القديم) كان يُعبِّر بعباراتٍ مُوجزة وقصيرة عن مرامه.

ثانياً: كان (سعيد) يضع درجة أفهام طلبته الأذكياء جداً موضعَ الاعتبار، ولم يكن يفكّر في فهم الآخرين.

ثالثاً: لما كان يُبيّن أدقَّ وأرفعَ ما في نَظْمِ القُرْآن من الإيجاز المعجِز؛ جاءت العباراتُ قصيرةً ورفيعة؛ يقول النورسي:" بَيْدَ أنني أجَلتُ النظر فيه الآن بعين (سعيد الجديد)، فوجدتُ أنّ هذا التّفسير بما يحتويه من تدقيقات، يُعَدُّ بحقٍّ تُحْفةً رائِعةً من تُحَفِ (سعيد القديم)، بالرغم من أخطائِه وذنوبِه. ولمَّا كان (أي سعيد القديم)؛ يتوثب لنَيل مرتبة الشهادة أثناء الكتابة، فيكتب ما يعنّ له، بنية خالصة، ويطبق قوانينَ البلاغة ودساتير علوم العربيّة، لم أستطع أنْ أقدحَ في أيّ موضعٍ منه، إذ رُبَّما يجعل الباري – عزَّ وجلَّ – هذا المؤلَّف كفارةً لذنوبه، ويبعث رجالاً يستطيعون فهمَ هذا التفسير حقَّ الفهم. ولولا موانعُ الحَرْب العالميّة، فقد كانت النيّةُ تتَّجِه إلى أنْ يكون هذا الجزء وَقْفاً على توضيح الإعجاز النظمي من وجوه إعجاز القرآن، وأنْ تكُونَ الأجزاءُ الباقيةُ كلٌّ واحِدٍ منها وَقْفاً على سائر أوجه الإعجاز"([1]).

-<u>البلاغة في كتاب (إشارات الإعجاز):</u>

[1] -إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: سعيد النورسي، ص١٥

وقد أولى النورسي عناية بارزة بموضوع الإعجاز القرآني البلاغي في مختلف مؤلفاته، إذ تتوزع إشاراته بين بيان عام لوجوه الإعجاز من جهة، وتحليل تفصيلي لأبرز مظاهره البيانية من جهة أخرى، ويستطيع القارئ أن يلمس هذا الاهتمام في مختلف رسائل النور، إذ تتكرر فيها الإشارة إلى إعجاز القرآن الكريم كأحد المحاور الرئيسة في مشروع النورسي الإصلاحي والتفسيري، القائم على ترسيخ الإيمان وتأكيد حجّية الوحي، مما يجعل دراسة الإعجاز عنده ليست ترفًا بلاغيًا، بل ضرورة عقدية ومنهجية في الوقت نفسه.

ولا يقف النورسي عند حصر الإعجاز في وجه دون آخر، بل يشير إلى تعدد الوجوه واختلاف جهات النظر حولها، فيقول:" اتفق الإسلامُ على أن القرآن معجِز، إلّا أن المحققين اختلفوا في طرق الإعجاز، لكن لا تزاحمَ بين تلك الطرق، بل كلٌّ اختار جهةً من جهاته؛ فعند بعضٍ إعجازُه إخباره بالغيوب، وعند بعضٍ جمعُه للحقائق والعلوم، وعند بعض سلامتُه من التخالف والتناقض، وعند بعض غرابةُ أسلوبه وبديعيتُه في مقاطعِ ومبادئ الآيات والسور، وعند بعض ظهورُه من أُمّيّ لم يقرأ ولم يكتب، وعند بعض بلوغُ بلاغة نظمِه إلى درجةٍ خارجة عن طوق البشر.."([1]) غير أنه يُلفت النظر في مواضع عدة إلى أن الوجه الذي أولاه العناية الأكبر هو الإعجاز البياني المتعلق ببلاغة النظم وهو ما خصّه بتفصيل بيّن في كتابه (إشارات الإعجاز)، إذ يقول صراحة:"وقد بينتُ من تلك الوجوه واحدًا، وهو البلاغة الفائقة النظمية، في مقدار أربعين صحيفة من تفسيري العربي المسمى بإشارات الإعجاز"([2])، وتتقاطع هذه الرؤية مع ما قرره كبار علماء البلاغة فغالبية من تصدّوا لمسألة إعجاز القرآن من أمثال (الخطابي، والرماني، والباقلاني، وعبد القاهر الجرجاني)، رجّحوا القول بأن مكمن الإعجاز البياني في القرآن إنما هو في نظمه الفريد، يقول الخطابي (ت ٣٨٨هـ): "فتفهّم الآن واعلموا أن القرآن إنه جاء بأحسن الألفاظ في أحسن نُظُم متضمنًا أصح المعاني"([3])، ويؤكد الرماني (ت ٣٨٢هـ) أن "أعلى طبقات البلاغة معجزة للعرب والعجم، وهو ما يعني تفرّد القرآن في بيانه ونظمه "([4]) ، وأما الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) فقد اعتبر أن من أهم وجوه إعجازه بديع نظمه، يقول:"أنه بديع النظم عجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز

---

[1] – المصدر نفسه: ص١٧٢

[2] –المثنوي العربي النوري: سعيد النورسي، ص٨٣

[3] –بيان إعجاز القرآن : أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي، ص٢٧

[4] –النكت في إعجاز القرآن : أبو الحسن علي الرماني، ص٧٦

الخلق عنه "([1]) ، في حين حسم الجرجاني القول بقوله: "فلم يبق إلا أن يكون الإعجاز في النظم والتأليف"([2]).

ومن هذا المنطلق يلتقي النورسي مع أساطين البلاغة من السلف والخلف في تأكيدهم على أن النظم هو المعقد البياني الرئيس لإعجاز القرآن الكريم، دون أن يعني ذلك إلغاءً لبقية الوجوه، وقد عبّر عن هذه القناعة في عبارته المحكمة: "اعلم أن أساس إعجاز القرآن الكريم في بلاغة نظمه"([3])

ويُعد هذا التمهيد مدخلًا لازمًا قبل الانتقال إلى قراءة المسائل التفصيلية التي نظّمها النورسي في (إشارات الإعجاز)، والتي شكّلت أساس مشروعه البلاغي في تفسير القرآن، وهي مسائل تُظهر عمق وعيه ببلاغة النظم، ومدى استلهامه للمنظومة البلاغية التراثية في سياق حديث معاصر، **وقد حصر النورسي هذه المسائل في اثنتي عشرة مسألة تتضمن مواصفات مهمة للكلام البليغ**؛ لأنه يرى أنه أعظم الوجوه في إعجاز القرآن، منها :

المسألة الأولى: نظمُ المعاني دون نظم اللفظ:

يرى النورسي أن منشأ البلاغة القرآنية لا يكمن في ترتيب الألفاظ كما ذهب إليه بعض اللفظيين، وإنما في نظم المعاني، إذ يقول:"إنَّ منشأ نقوش البلاغة إنما هو نظمُ المعاني دون نظم اللفظ، كما جرى عليه اللفظيون المتصلّفون "([4]) و"الصَّلَفُ هو الغُلُوّ في الظَّرْف والزِّيادةُ على المِقْدار مع تكبر"([5]) "وصار حبُّ اللفظ فيهم مرضاً مزمناً إلى أن ردَّ عليهم عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز"([6])، وقد عبّر النورسي عن مفهوم (نظم المعاني) بأنه"توخّي المعاني النحوية فيما بين الكلمات، أي إذابة المعاني الحرفية بين الكَلِم لتحصيل النقوش الغريبة"([7])، وهو بذلك يؤسس لرؤية بلاغية ترى أن إعجاز القرآن لا يقوم على زخرفة اللفظ

---

[1] – إعجاز القرآن: أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، ص٥٣

[2] – دلائل الإعجاز: عبدالقاهر الجرجاني، ص٢٧٤

[3] –إشارات الإعجاز : سعيد النورسي، ص١١١

[4] – المصدر نفسه: ص١١٥

[5] –لسان العرب: محمد بن مكرم ابن منظور ، ١٩٦/٩

[6] –دلائل الإعجاز: عبدالقاهر الجرجاني، ص٢٠٠،إشارات الإعجاز، ص١١٥

[7] – إشارات الإعجاز : ص١١٥

أو جمال المبنى فحسب، وإنما ينبثق من العلاقات النحوية والدلالية العميقة بين المفردات في سياقها التركيبي.

ويُعدّ هذا الموقف امتدادًا للرؤية التي أصّلها عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) في نظريته حول النظم، حيث أكد أن معيار جودة الكلام أو ضعفه، وميزته أو نقصه، إنما يرجع إلى مدى التزامه بقواعد النحو ومواضع المعاني، يقول:" واعلمْ أنْ ليسَ النظمُ إلا أن تضعَ كلامَك الوضعَ الذي يَقتضيهِ علمُ النّحو، وتعملَ على قوانينهِ وأُصولِه، وتعرفَ مناهجَهُ التي نُهِجَتْ، فلا تزيغَ عنها، وتحفظَ الرسومَ التي رُسمتْ لك، فلا تُخلَّ بشيءٍ منها... فلستُ بواجدٍ شيئاً يرجعُ صوابُه –إنْ كان صواباً– وخطؤه –إنْ كانَ خطأً– إلى النظم، ويدخلُ تحتَ هذا الاسم، إلا وهو معنًى من معاني النحو قد أُصيبَ به موضعُهُ ووُضِع في حقه، أو عُومِلَ بخلافِ هذه المعاملة، فأُزيلَ عن موضعهِ واستُعمِل في غيرِ ما ينبغي له..."([1])

ويتبين من خلال هذا الطرح أن النورسي وإن عالج المسألة بأسلوب خاص به إلا أنه ينطلق من الرؤية ذاتها التي ترى في (النظم) جوهر البلاغة القرآنية، حيث يتجلّى البيان الأعلى في التناسق التركيبي والدلالي بين المفردات وتكامل المعاني في سياقها النحوي الوظيفي، وليس في رصف الألفاظ أو زخرفتها المجردة ومن ثَمّ فإن بلاغة القرآن عند النورسي تتجلى في عمق نظمه واتساق معانيه لا في ظاهر عباراته فقط.

المسألة الثانية: السحر البياني وتحويل المعاني إلى صور محسوسة:

يتناول النورسي في هذه المسألة مظهرًا فريدًا من مظاهر الإعجاز البلاغي، يتمثل في قدرة البيان القرآني على تحويل المعاني المجردة إلى صور حسية نابضة بالحياة، وهو ما يعبّر عنه بمصطلح (السحر البياني) ويقصد به: تلك الطاقة التعبيرية الخارقة التي تجعل من الكلام وسيلةً لإحياء الجمادات، وتشكيل العوالم الذهنية في صور محسوسة، إذ يقول:" إنَّ السحر البياني إذا تجلّى في الكلام صيّرَ الأعراض جواهرَ، والمعانيَ أجساماً، والجماداتِ ذواتِ أرواحٍ والنباتاتِ عقلاءَ، فيوقِع بينها محاورةً قد تنجرّ إلى المخاصمة، وقد تُوصل إلى المطايبة فترقُص الجماداتُ في نظر الخيال"([2]) ، وفي هذا السياق، لا ينظر النورسي إلى البيان على أنه أداة تواصل فحسب، بل يصفه بأنه قوة تحويلية تُمكّن المعنى من التجلّي عبر الحواس، إنه بيان يتجاوز مستوى التوصيل إلى مستوى التكوين؛ حيث يصبح الخطاب القرآني

[1] –دلائل الإعجاز: الجرجاني ، ص٧٧

[2] – إشارات الإعجاز : سعيد النورسي، ص١١٦

فضاءً تجسيديًا تتفاعل فيه المعاني، وتنبثق فيه الصور، وتتحرك العناصر الجمادية والذهنية ضمن مشاهد تصويرية متخيلة.

يوجد لهذا المعنى ما يعضده في التراث البلاغي، فقد أشار الخطابي (ت ٣٨٨هـ) إلى أن إعجاز القرآن يكمن في قدرته على الجمع بين أفصح الألفاظ وأحسن النظم مع عمق الدلالة، حيث قال: "إنّ القرآن إنما صار معجزاً؛ لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظم التأليف مضمناً"([1])، و أكد السكاكي (ت ٦٢٦هـ) هذا البعد الذوقي بقوله:):"واعلم أن شأن الإعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن يدرك ولا يمكن وصفها.."([2]) ، ويُعزز النورسي هذا المفهوم كذلك في مواضع أخرى من رسائله، حيث يُظهر أن البيان القرآني لا يُراعي فحسب التنوع اللفظي، بل يفتح المجال أمام تعدد المستويات الإدراكية، إذ يقول في (الكلمات):" إن الألفاظ القرآنية قد وُضعت وضعاً بحيث إن لكلِّ كلام بل لكل كلمة بل لكل حرف بل حتى لسكوت أحيانا وجوها كثيرة جدا، تمنح كلَّ مخاطب حظَّه ونصيبه من أبواب مختلفة.."([3]).

ومن خلال هذه الرؤية، يتبيّن أن (السحر البياني) عند النورسي ليس مجرد أسلوب بياني جمالي، بل هو وظيفة تكوينية للبيان القرآني، تجعله قادرًا على ملامسة كل مستويات الإدراك، من الحس إلى الخيال، ومن الظاهر إلى الباطن، وهو ما يُعد مظهرًا من مظاهر الإعجاز البلاغي التي يعجز البيان البشري عن بلوغها.

المسألة الثالثة: الأسلوب بوصفه قالب المعاني وصورة الحقائق:

في هذه المسألة يركّز النورسي على أحد الأركان المركزية في البناء البلاغي للبيان القرآني، وهو الأسلوب لا باعتباره مجرد وسيلة شكلية لإخراج المعنى؛ بل باعتباره الصورة الظاهرة للحقائق، والقالب الحي الذي تتشكل فيه المعاني المجردة في أبنية محسوسة وجمالية، يقول في مستهل المسألة:"اعلم أن كمال الكلام وجمالَه وحُلَّتَه البيانية بأسلوبه، وأسلوبُه صورةُ الحقائق وقالبُ المعاني المتّخذ من قطعَات الاستعارة التمثيلية..."([4]) ، ثم يؤكد أن التمثيل في البيان القرآني مؤسَّس على نظام كوني منسجم، إذ تنعكس العلاقات بين الظواهر الطبيعية

---

١ – بيان إعجاز القرآن : أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي، ص٢٧

٢ – مفتاح العلوم: أبو يعقوب السكاكي، ص٥٢٦

٣ – الكلمات : سعيد النورسي،ص٤٢٨

٤ –إشارات الإعجاز: سعيد النورسي ، ص١١٦

على طرائق التعبير، فيقول:" ثم إن التمثيلات مؤسسةٌ على سرّ المناسبات بين الأشياء، والانعكاسات في نظام الكائنات "([1])، هذه الرؤية تجعل من الأسلوب أحد أركان الإعجاز، لأنه يعكس "المناسبات" بين الظواهر، ويؤسّس للبلاغة الكونية في القرآن، فكل تشبيه أو استعارة لا تكتفي ببيان المعنى بل تكشف عن نظام إلهي متناغم، وهذا بحد ذاته من دلائل الإعجاز.

ومن الجوانب المهمة التي يُبرزها النورسي في هذه المسألة أن الأسلوب يتشكل أيضًا تبعًا لخيال المخاطَب، لا لخلفية المتكلم وحده، وهو ما ينعكس بوضوح في أساليب القرآن الكريم، التي تراعي أحوال السامعين وتخاطبهم بأساليب متنوعة بحسب المقام، فقال:" ثم إن أسلوب الكلام قد يكون باعتبار خيالِ المخاطَب كما في أساليب القرآن فلا تنسَ، ثم إن مراتب الأسلوب متفاوتةٌ، فبعضها أرقُّ من النسيم إذا سرى يُرمَز اليه بهيئات الكلام، وبعضها أخفى من دسائس الحرب لا يشمّه إلّا ذو دهاء في الحرب" فالنورسي يُبيّن تفاوت مراتب الأسلوب في القرآن، من حيث الرقة، والرمز، والعمق الدلالي؛ فبعض الأساليب رقيقة كالنسيم يُشار إليها بـ(هيئات الكلام)، وبعضها خفي كخطط الحرب، لا يدركه إلا ذو فطنة ودهاء، كاشفًا بذلك عن أبعاد خفية في الأسلوب القرآني لا يدركها إلا ذو ذوق بياني مرهف. "وقد استشهد بذلك استنباط الزمخشري(ت٥٣٨هـ) من قوله تعالى: ﴿ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾([2])، فهذا أسلوب تحدي، ألا وهو أسلوب (من يبرز إلى الميدان؟)" ولا يقصد النورسي بذلك أن الزمخشري صرّح بهذا التعبير الحرفي، بل إنّه يُؤول تحليل الزمخشري بأسلوب تصويري فقد بيّن في الكشاف أن هذه الآية – وإن وردت على لسان منكِر – فإنها تتضمّن نوعًا من التحدي العقلي والإعجازي، فقال:" فإذا قيل : من يحيي العظام على طريق الإنكار لأن يكون ذلك مما يوصف الله تعالى بكونه قادراً عليه ، كان تعجيزاً لله وتشبيهاً له بخلقه في أنهم غير موصوفين بالقدرة عليه"([3])، ومن خلال هذا التحليل، يستنبط النورسي أن الآية في عمقها تحمل مشهدًا بلاغيًا يتحدى المتلقي فكريًا ووجدانيًا، وكأنها تقول له :من يتقدّم إلى ميدان الجدل؟ من يواجه سلطان الوحي؟، وهذا المستوى من الإيحاء هو ما عبّر عنه النورسي بعبارة "أسلوب من يبرز إلى الميدان"، ليحوّل البيان من سرد خبري إلى تصوير بياني جدلي مُتحدٍّ، يقترب من أساليب الإقناع الفني والبنائي.

---

[1] – المصدر نفسه، صلى الله عليه وسلم ١١٦

١. سورة يس: ٧٨

٢. تفسير الكشاف : أبو قاسم جار الله الزمخشري، ص٩٠٠

ويختم النورسي هذه المسألة باستشهاد بياني بديع من القرآن الكريم، يتمثّل في قول الهدهد في سورة النمل:﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾([1])، معتبرًا أن هذا البيان الصادر على لسان طائر صغير يجسّد قمة البلاغة في الإشارة والتصوير، إذ يحمل في طياته هندسة بيانية دقيقة تُظهر أن الأسلوب ليس مقصورًا على البيان البشري، بل يمكن أن يُجريه الله حتى على لسان الهدهد لإظهار الحق والدعوة إلى التوحيد. ويشير الزمخشري إلى أنّ هذا التعبير علامة على إدراك الهدهد لنظام الماء في الأرض، ومعرفته الدقيقة بمواقع الخبء، وذلك بإلهام إلهي ينسجم مع سنن القدرة والعلم، حيث يقول:"وفي إخراج الخبء : أمارة على أنه من كلام الهدهد لهندسته ومعرفته الماء تحت الأرض ، وذلك بإلهام من يخرج الخبء في السموات والأرض جلت قدرته ولطف علمه ، ولا يكاد تخفى على ذي الفراسة النظار بنور الله مخائل كل مختص بصناعة أو فنّ من العلم في روائه ومنطقه وشمائله"([2]) ، يتضح من خلال هذا التحليل أن الإعجاز البلاغي في الأسلوب القرآني لا يقتصر على الكلمات الظاهرة؛ بل يمتد إلى عمق الإشارة، وإلى ما يُدرك بالفراسة والنظر الدقيق في بنية القول، حتى وإن كان من نطق به كائنًا صغيرًا كالهدهد، وهو ما يجعل الأسلوب القرآني نموذجاً فريداً في تحويل أبسط المقاطع إلى مشاهد بيانية محكمة، تحمل في داخلها هندسة بلاغية شاهدة على الإعجاز البياني القرآني في أعلى مراتبه.

المسألة الرابعة: قوة الكلام والانسجام الكلي بين أجزاء الكلام:

يُقرر النورسي في هذه المسألة مبدأً جوهريًا في بلاغة القرآن الكريم، وهو أن قوة البيان لا تتحقق في كل جملة على حدة، بل في تكامل أجزاء الكلام واتساقها نحو غرض كلي تتعاون عناصر النص على تحقيقه فالبلاغة عنده ليست نثرًا منثورًا، بل بناءٌ عضويٌّ متكامل، تتجاوب فيه (قيودات الكلام ونظمه وهيئته)، ويأخذ كل جزء فيه بيد الآخر ويظاهره، ليخدم الغرض الكلي بأبعاده العامة وتفصيلاته الدقيقة، كما في قوله:"اعلم أن الكلام إنما يكون ذا قوّةٍ وقدرة إذا كان أجزاؤه مصداقاً لمَا قيل:

عِبَاراتُنا شَتى وَحسْنُكَ وَاحِدٌ وَكُلٌّ إلى ذَاكَ الْجَمَالِ يُشيرُ

كأن الغرضَ المشترك حوضٌ يتشرّب من جوانبه الرّطبةَ، فيتولد من هذه المجاوبةِ المعاونةُ، ومنها الانتظامُ، ومنه التناسبُ، ومنه الحُسنُ والجمال الذاتي. وهذا السر من البلاغة يتلألأ

---

٣. –سورة النمل : ٢٥

٢ – تفسير الكشاف: الزمخشري ، ص٧٨١

من مجموع القرآن لا سيما في :﴿ الٓمٓ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾([1]) ،كما سمعتَه مع التنظير بقوله :﴿ وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ ﴾([2])، وفي استشهاده النموذجي لهاتين الآيتين يدل على أن كل لفظ وتراكيب في القرآن الكريم تأتي متضافرة لإبراز المقصد العام للنص، عبر تناسب داخلي دقيق بين المبنى والمعنى، وتلتقي هذه الرؤية النورية بدقة مع ما قرّره الخطابي (ت ٣٨٨هـ) في قوله:"إنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم. وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئًا من الألفاظ، أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه"([3])، فما يسميه النورسي بـ(المعاونة) بين أجزاء الكلام، و(النظام الداخلي الذي يتولد منه الحسن الذاتي)، هو بعينه ما عبّر عنه الخطابي بـ(الرباط الناظم) بين اللفظ والمعنى، والذي يمنح القرآن خصوصيته البلاغية المعجزة.

وهذا الاشتراك المفهومي بين النورسي والخطابي يُظهر أن النورسي لا يكتفي بتفسير ظاهر الآيات، بل يُنظّر لبلاغة قرآنية تراعي التناسب الداخلي، والنسج المتناغم بين العناصر اللغوية والدلالية، بحيث لا يكون البيان القرآني جميلاً فحسب، بل منسجمًا في كل أجزائه، متآزرًا في أداء مقصده الكلي، وهو ما لا يقدر عليه البشر في كلامهم، ولو اجتمعت قدراتهم البلاغية.

المسألة الخامسة: كيفيات نظم الكلام وهيئاته ومستتبعاته:

يرى النورسي أن أحد أبرز وجوه الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم يكمن في ثراء الخطاب القرآني وامتداده الدلالي، لا في حدود دلالته المباشرة فقط، بل فيما يصحب هذه الدلالة من إيحاءات ضمنية وتفرعات معنوية ناتجة عن السياق، يُطلق عليها النورسي مصطلح (مستتبعات الكلام)، أي ما يترتب على الكلام من لوازم ومقتضيات غير مصرح بها، لكنها تُفهم من طبيعة التركيب وأسلوب الأداء، وفي هذا السياق يقول:"اعلم أن غِناء الكلام وثروتَه ووسعتَه هو أنه كما أن أصل الكلام يُفيد أصلَ المقصد؛ كذلك كيفياتُه وهيئاته ومستتبعاتُه تشير وترمز وتلوّح إلى لوازم الغرض وتوابعه وفروعه، فكأنما تتراءى طبقةً بعد طبقة ومقاماً خلفَ مقام"([4]) ويستشهد على ذلك بآيتين من سورة البقرة هما قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا

---

[1] –سورة البقرة: ١–٢

[2] – سورة الأنبياء: ٤٦

[3] – بيان إعجاز القرآن: الخطابي ، ص٢٧

[4] –إشارات الإعجاز: سعيد النورسي، ص١١٨

قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾([1])، ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ اٰمَنُوا ﴾([2])، إذ يرى أن الخطاب لا ينقل الحدث الظاهر فحسب، بل يُظهر تناقضًا خفيًّا في نفسية المنافق، ويكشف عن سلوكهم المركّب من الزيف والمداهنة والازدواجية، وهنا لا يكون الإعجاز في المعنى الصريح، بل في التراكب الدلالي الناتج عن نظم الكلام وكيفياته ومقاماته وتدرجاته. ويفصّل النورسي تفسيره لهاتين الآيتين في مواضع أخرى من (إشارات الإعجاز)، فيقول عن الآية الأولى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ إنّها تمثّل حوارًا متدرجًا تُبنى فيه الدلالة عبر مراحل، تبدأ بالنصح، ثم الزجر، ثم كشف التناقض الذاتي للمفسدين، الذين يظنون أنفسهم مصلحين، فتُظهر الآية من خلال ترتيب الجمل وتضمين المعاني وجهًا من أوجه الخداع الذاتي والتبرير النفسي، وهو ما لا يُدرك من ظاهر الألفاظ فقط بل من مستتبعاتها وسياقها وانسجامها([3]).

وعن الآية الثانية:﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ يُشير إلى أن النفاق يُنتج الذلة والرياء والكذب، وهي معانٍ نفسية وأخلاقية يُفهم بعضها من مجرد الهيئات والتعابير الزمنية والمكانية في الآية، كفعل (لقوا) و(قالوا)، وضمائر الخطاب، وكلها تدخل ضمن مستتبعات الكلام. ويعرف ابن عاشور(ت١٣٩٣هـ) (مستتبعات الكلام) بأنها:" اسْتِنْبَاطُ مَعَانٍ مِنْ وَرَاءِ الظَّاهِرِ تَقْتَضِيهَا دَلَالَةُ اللَّفْظِ أَوِ الْمَقَامِ وَلَا يُجَافِيهَا الِاسْتِعْمَالُ وَلَا مَقْصِدُ الْقُرْآنِ، وَتِلْكَ هِيَ مُسْتَتْبَعَاتُ التَّرَاكِيبِ وَهِيَ مِنْ خَصَائِصِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ"([4])، ويُضيف ابن عاشور أن من أمثلة هذه المستتبعات: التأكيد الذي يدل على الإنكار أو التردد، وفحوى الخطاب، ودلالة الإشارة، واحتمال المجاز مع الحقيقة، وكلها معانٍ لا تُقال صراحة، بل تُستفاد من السياق والمقام([5]).

وفي السياق نفسه يرى البلاغيون أن للغة دلالةً ثانويةً تُعرف بـ(مستتبعات التراكيب)، وهي الدلالة التي تشكّل الركن الأساس في إعجاز القرآن البلاغي، وقد أشار إلى ذلك الزمخشري بقوله:" لأنّ في كلام العرب خصوصاً في القرآن الذي هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه وأساليبه من لطائف المعاني والأغراض ما لا يستقل بأدائه لسان.."([6]) ، وهكذا فإن تحليل

---

[1] –سورة البقرة: ١١

[2] –سورة البقرة: ١٤

[3] – إشارات الإعجاز: سعيد النورسي، ص٩٣

[4] – تفسير التحرير والتنوير: محمد بن طاهر بن عاشور، ٤٢/١

[5] – المصدر نفسه: ٤٢/١

[6] –تفسير الكشاف: الزمخشري، ص١٠٠٣

النورسي لنظم الكلام لا يقتصر على علاقات ظاهرية بين الجمل والكلمات، بل يمتد إلى بنية تفاعلية حوارية، تُنتج معناها طبقةً بعد طبقة، وتُدرك تفرعاتها من خلال سياقها، وهذا التراكم البلاغي، أو ما سماه بـ(مقامًا خلف مقام)، يُعدّ عنده وجهًا خاصًا من وجوه إعجاز القرآن، يُبرز المرونة التأويلية والانفتاح الدلالي في نصوصه، دون أن يُخلّ ذلك بالضوابط اللغوية.

المسألة السادسة: أنواع المعاني ودورها في التركيب:

من وجوه الإعجاز البلاغي التي أبرزها النورسي بعمقٍ وتأملٍ دقيقٍ ما يمكن تسميته بـ(أنواع المعاني ودورها في التركيب) ، وهو وجه دقيق يتصل بما يسميه بـ(خريطة الكلام المنقوشة بفوطغراف التلفظ) إذ يقول:" اعلم أن المعاني المُجتناة من خريطة الكلام المأخوذةِ المنقوشة بـ(فُوتُوغْراف) التلفّظ على أنواع مختلفةٍ ومراتبَ متفاوتة. فبعضُها كالهواء يُحسُّ به ولا يُرى.. وبعضها كالبخار يُرى ولا يُؤخذ.. وبعضها كالماء يُؤخذ ولا ينضبط.. وبعضها كالسبيكة ينضبط ولا يتعيّن..."([1]). في هذه المسألة يقرر النورسي أن المعاني لا تُلقى على نسقٍ واحدٍ أو درجةٍ واحدةٍ من الإدراك أو التشكل، بل تتنوع في مراتبها، وتخضع لتفاوت دلالي بحسب الغرض والمقام وسياق التلقي، فالمعاني – بحسب تصوره – منها ما يكون شفافًا كالهواء (يُحسّ ولا يُرى)، ومنها ما هو كالبخار (يُرى ولا يُؤخذ)، ومنها ما يشبه الماء (يُؤخذ ولا ينضبط)، ومنها ما يتشكل ويستقر كالسبيكة، ومنها ما يتشخص كالدُرّ المنظوم والذهب المضروب، وفي هذا التدرج الرمزي العميق، يُراد توصيف واقع التفاوت البلاغي في ظهور المعنى وتمكنه من ذهن المتلقي، وهو ما يدل على قدرة البيان القرآني على حمل مختلف أنماط المعنى، الظاهر منها والمضمر، الحسي منها والتخيلي.

ويشير النورسي في هذه المسألة إلى أن المعنى الواحد قد يمرّ بحالات ثلاث يقول:" ألا ترى أنه إذا أثَّر أمرٌ خارجي في وجدانك يتهيّج قلبُك؟ فيثير الحسياتِ فيتطايرُ معانٍ هوائية فيتولد ميولٌ، ثم يتحصّل بعضُها، ثم يتشكل من ذلك البعض قسمٌ، ثم ينعقد من ذلك القسم بعضٌ. ففي كلٍّ من هذه الطبقات يتوضّع وينعقد البعضُ، ويبقى البعض الآخر معلّقاً كمعلّقية بعضِ الصوت عند تشكّل الحروف والتِّبنِ عند انعقاد الحبوب فمن شأن البليغ أن يفيدَ بصريح الكلام ما تعلّق به الغرضُ واقتضاه المقامُ وطلبَه المخاطَبُ.."([2])، فهذا التفاوت في طبقات المعنى عند النورسي لا يتأتى من مجرد التراكيب السطحية، بل يتولد من انفعال النفس، وحركة الوجدان، وتفاعل الفكر، حيث تنطلق الحسيات بتأثير خارجي، فتنشأ عنها معانٍ

[1] –إشارات الإعجاز : سعيد النورسي ، ص١١٨

[2] – إشارات الإعجاز : سعيد النورسي ، ص١١٨

هوائية، ثم تتبلور بعض هذه المعاني، وتتشكل في هيئة قسم أو صورة معينة، ثم ينعقد منها معنى محدد في ذهن المتلقي، غير أن كثيرًا من هذه المعاني يبقى معلقًا في أفق الإيحاء، لا يدرك إلا بالتأمل، كمثل (تبن الحبة قبل انعقادها) والتبن عَصيفة الزَّرْع مِنَ البُرِّ وهو غلاف خارجي يلازم تكوّن الحبوب في السنابل([1]) ؛ لكنها ليست الحبة نفسها بل هي مرتبط بها ضروري لمرحلة نضوجها، وهذا يعني أن بعض معاني تبقى في الأطراف.

ومن أبدع ما يشير إليه النورسي في هذه المسألة ما يسميه بـ(المعاني الهوائية الحرفية) يقول:"إن من تلك المعاني المعلّقة معانيَ حرفية هوائية ليس لها ألفاظٌ مخصوصة، ولا لها وطنٌ معيّن بل كالسَيَّاح السيَّار؛ قد يستتر في كلمة وقد يتشرّبه كلامٌ وقد يتداخل في قصة، فإن عصرتَ تقطَّر؛ كالتحسّر في :﴿ اِنِّي وَضَعْتُهَا اُنْثٰى ﴾([2])" ([3]) ، وهي تلك المعاني التي لا تستقر في لفظ محدد، بل تنتقل في السياق كالسياح الجوّال، تتوزع في الكلمة، أو تتلبس بالجملة، أو تتخلل القصة، ومتى ضغط المتلقي على السياق بلطافة الفهم، انبثق له معنى كالتحسر في قوله تعالى على لسان امراة عمران : ﴿ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى ﴾، أو التفاخر، أو الإشارة، أو الحزن، أو العتاب، وهي كلها معانٍ قد لا يُصرّح بها؛ بل تُفهم من السياق واللفظ والنغمة الشعورية المصاحبة للكلام.

المسألة السابعة: الخيال الناشيء عن الحقيقة:

يذكر النورسي في هذه المسألة وجهاً آخر للإعجاز الأسلوبي وهو الخيال في الكلام، فالخيال البلاغي الناجح لا ينشأ من فراغ، بل يجب أن يستند إلى حقيقة واقعية أو منطقية، كما في قواعد النحو أو فلسفة العلاقات في اللغة، فيقول:" اعلم أن الخيال المندمجَ في أسلوبٍ لابدّ أن يتسنبل على نواةِ حقيقةٍ، ويكون كالمرآة في أن ينعكس به –في المعنويات– القوانينُ والعلل المندرجة في سلسلة الخارجيات. وفلسفة النحو التي هي المناسباتُ المذكورةُ في كُتبه أيضاً من هذا القبيل؛ كما يقال: الرفعُ للفاعل، لأن القويَّ يأخذ القويَّ وقس عليه.."([4]) ، ومن هذا المنطلق، يُقدّم النورسي رؤية فلسفية للخيال، قائلًا إنه ينبغي أن يكون كالمرآة التي تعكس القوانين والعلل المعنوية الكامنة في النظام الكوني، أي أن الصورة الخيالية يجب أن تعكس

---

[1] – لسان العرب: ابن منظور ،٧١/١٣

[2] –سورة آل عمران: ٣٦

[3] –إشارات الإعجاز: ص١١٨

[4] – إشارات الإعجاز: سعيد النورسي، ص١١٨

حقيقة واقعة، أو تومئ إلى نظام خارجي واقعي ولبيان هذا التفاعل بين الخيال والواقع، يربط النورسي بين التصوير البياني وفلسفة النحو، إذ يرى أن قوانين النحو . التي تحكم الوظائف الإعرابية كـ(الرفع للفاعل) . ليست قوانين لغوية اصطلاحية فحسب، بل تعبير عن مناسبات عقلية وطبيعية بين المعاني فقول النحويين: (الرفع للفاعل لأن القوي يأخذ القوي) ، حيث يُعطى (الفاعل) موضع القوة النحوية لأنه المباشر للفعل، وهذا دليل على أن حتى أبنية اللغة (في نحوها وبلاغتها) تمثّل أنظمة إدراكية تحاكي النظام الخارجي في الأشياء.

المسألة الثامنة: اصالة المعاني في الحروف وتنوع الدلالة بحسب المقام:

ينبّه النورسي في هذه المسألة إلى جانب دقيق من وجوه الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، يتمثّل في التوسّع الدلالي في الحروف، مع ثبات الأصل المعنوي لكل حرف، وهذا الوجه البلاغي . وإن بدا خفيًّا إلا أنه يدل على إحكام النسج القرآني واتساعه التأويلي، إذ يمكن لحرفٍ واحد أن يُنتج مجموعة من المعاني المرتبطة بمقام الخطاب دون أن يخرج عن مركزه الدلالي، يقول:" اعلم أن سيبويه(ت ١٨٠هـ) نصّ على أن الحروف التي تعَدّد معانيها كـ(من) و(إلى) و(الباء) وغيرها، أصلُ المعنى فيها واحدٌ لا يزول؛ لكن باعت المقام والغرضِ قد يتشرب معنىً معلّقاً، ويجذبه إلى جوفه، فيصير المعنى الأصلي صورةً وأسلوباً لمسافره. وكذلك إن العارف بفقه اللغة إذا تأمّل عَرَف أن اللفظ المشترك في الأغلب معناه واحدٌ، ثم بالمناسبات وقع تشبيهاتٌ.. ثم منها مجازات.. ثم منها حقائقٌ عرفية.. ثم يتعدد"([1]).

وقد استند النورسي في هذا التصور إلى ما قرّره (سيبويه) الذي نصّ بوضوح على أن الحروف التي تتعدد معانيها، كـ(من) و(إلى) و(الباء)، لها معنى أصلي ثابت، يتفرّع عنه . تبعًا للسياق والغرض . معانٍ إضافية تُفهم ضِمنًا دون أن تنقض الأصل أو تنفصل عنه، ففي تفسيره لحرف (من)، يذكر سيبويه أنها:" وأمَّا (مِنْ) فتكونُ لابتداءِ الغايةِ في الأماكِن؛ وذلك قولك: مِنْ مكانِ كذا وكذا إلى مكانِ كذا وكذا. وتقولُ إذا كتَبْتَ كتاباً: مِنْ فُلانٍ إلى فُلان. فهذِه الأسماءُ سِوى الأماكن بمنزلتها. وتكونُ أيضاً للتَّبعيض؛ تقولُ: هذا مِنَ الثَّوبِ، وهذا مِنْهم؛ كأنَّكَ قُلْتَ: بَعْضُهُ. وقد تدخلُ في مَوْضِعٍ لَوْ لَمْ تدخُلْ فيهِ؛ كان الكلامُ مُستقِيماً، ولكنَّها توكيدٌ بمنزلةِ ما إلَّا أنَّها تجرُّ؛ لأنَّها حَرْفُ إضافةٍ؛ وذلِك قولُكَ: ما أتاني مِنْ رَجُلٍ وما رأيتُ مِنْ أحدٍ. ولَوْ أُخْرِجَتْ "مِنْ" كانَ الكلامُ حَسَناً، ولكنَّهُ أكَّدَ بـ(مِنْ)"([2]) ، ثم ينتقل إلى حرف (إلى)، فيقول:"وأمَّا (إلى) فمنتهىً لابتداءِ الغاية؛ تقولُ: مِنْ كذا إلى كذا. وكذلِك (حتَّى)، ....،

[1] – المصدر نفسه ، ص١١٩

[2] –الكتاب : عمرو بن عثمان سيبويه ، ٤/٢٢٤–٢٢٥

ويقولُ الرَّجلُ: إنَّما أنا إليكَ؛ أي: إنَّما أنتَ غايتي، ...، فهذا أمرُ (إلى) وأصلُه، وإنِ اتَّسَعَتْ. وهي أعمُّ في الكلامِ مِنْ (حتَّى)"([1])، ويعني بذلك أن معنى (إلى) الأصلي هو الغاية والنهاية، وما قد يُلاحظ من اتساع في استخدامها إنما هو تنويع في الأسلوب، لا خروج عن الأصل. وعن حرف (الباء)، قال سيبويه:" وباءُ الجرِّ إنَّما هِيَ للإلزاقِ والاختلاط، وذلِك قولُكَ: خرَجْتُ بزيدٍ، ودخَلْتُ بِه، وضرَبْتُه بالسَّوْطِ: أَلْزَقْتَ ضَرْبكَ إيَّاهُ بالسَّوْطِ. فما اتَّسعَ مِنْ هذا في الكلامِ؛ فهذا أصلُه"([2]) ، وهذا التصور . الذي يجمع بين الثبات والمرونة . هو ما أكّد عليه النورسي حين قال إن المعاني في هذه الحروف" قد تتشرّب معنىً معلّقًا، ويجذبه إلى جوفه، فيصير المعنى الأصلي صورةً وأسلوبًا لمسافره". فالمقام والغرض في الاستعمال البلاغي . كما يرى النورسي . لهما سلطة توجيهية على المعنى، إذ يمكن للسياق أن يشحن الحرف بمعانٍ مجازية أو إيحائية تنسجم مع أصل دلالته، وتُعد هذه الرؤية تأصيلًا لواحد من أهم خصائص البيان القرآني، وهو الاقتصاد اللفظي المصحوب بالغنى الدلالي، بحيث يُستثمر كل حرف في تأدية وظيفة معنوية دقيقة تُسهم في تحقيق الغرض البلاغي للنص.

وقد قرّر هذا الاتجاه أيضاً أبو سعيد السيرافي(ت٣٦٨هـ) في شرحه لكتاب سيبويه، بقوله:" اعلَمْ أنّ الحرفَ الواحِدَ الّذي أصلُ معناهُ واحِدٌ؛ قد يُسْتعمَل في مواضِعَ مُختلِفةٍ، فيغلبُ عليهِ اختلافُ مواضعِه، فيُصَيِّرُهُ كالحرُوفِ المُختلِفة حتَّى يعملَ أعمالاً مُختلِفةً"([3])، فهو يُبرز هذا المفهوم بجلاء كيف أن إعجاز القرآن لا يكمن فقط في المعاني الكلية والجُمل الكبرى، بل يتجلّى أيضًا في أدق الوحدات اللغوية، من حروف وقيود، تُنظم في نسيج متماسك يؤدّي الغرض بدقة، ويحتمل في الوقت ذاته تعدّدًا دلاليًّا مشروعًا ضمن إطار الأصل اللغوي، وهكذا يتكامل عند النورسي البعد النحوي مع البلاغي، ليكشف أن من أوجه الإعجاز الخفيّ في القرآن :قدرة الكلمة، بل الحرف الواحد، على حمل معانٍ متعددة يُوحى بها دون أن تُقال، ويُستدل عليها من نسق السياق دون إخلال بالبيان.

المسألة التاسعة : أعلى مراتب البلاغة:

يرى النورسي أن من أبرز وجوه الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم بلوغَه مرتبةً عالية من التركيب والتناسق تُعجِز الفكر الجزئي والإرادة المحدودة للمتكلم العادي، فهذه المرتبة لا

---

[1] – الكتاب : سيبويه ، ٤/٢٢٤–٢٢٥

[2] – المصدر نفسه: ٤/٢١٧

[3] –شرح كتاب سيبويه: أبو سعيد السيرافي، ٣/٢٠٩

تتحقق بمجرد توافر المعاني أو فصاحة الألفاظ، بل بقدرة المتكلم على أن يراعي . في آنٍ واحد . القيودَ السياقية، والروابط النحوية، والموازنات التعبيرية بين الجمل، بما يُنتج خطابًا ذا بنية معمارية متكاملة تشبه ما يسميه النورسي بـ(النقش الأعظم)، يقول موضحاً:"اعلم أن أعلى مراتب البلاغة الذي يُعجِز الإرادةَ الجزئية والفكرَ الشخصيّ والتصور البسيط هو أن يحافظَ ويراعي وينظر المتكلمُ دفعةً نِسَب قيودِ الكلام وروابطِ الكلمات وموازنة الجُمل التي يُظهِر كلٌّ مع الآخر نقشاً متسلسلاً إلى النقش الأعظم"([1])، ويُجسّد هذا المستوى البلاغي بمثال فنيّ بديع؛ إذ يشبه المتكلم البليغ ببنّاء ماهر يُرتب الأحجار المتلونة في القصر بطريقة تنسجم فيها الأجزاء، وتتعاضد الزخارف، حتى تظهر نقوش غريبة من مناظرة وموازاة الكلّ مع الكلّ، ومن الأمثلة التي أوردها للدلالة على هذا التناسق العجيب: حرف (العين) في بداية أسماء الخلفاء الراشدين (علي، عمر، عثمان، أبو بكر "عبد الله") (رضي الله عنهم)، إذ يقول:"حتى كأن المتكلمَ استخدم عقولاً إلى عقله، كالباني لقصر يضع الأحجار المتلونة بوضعية تحصل بها نقوشٌ غريبة من مناظرةٍ وموازاةِ الكلِّ مع الكلِّ كـ(العين)في الخط المشترك بين أسماء (الخلفاء الراشدين)"([2])

إن هذا النمط من البلاغة لا يمكن أن يكون نتاج عقل واحد جزئي، بل يحتاج . في نظر النورسي . إلى (استخدام عقولٍ إلى عقل)، أي إلى حكمة خارقة تتجاوز طاقة البشر، وهو ما يجعل من هذا النمط برهانًا على إعجاز القرآن، ولعل من أوضح صور هذا النسق التي أشار إليها النورسي بقوله تعالى في مطلع سورة البقرة:﴿ الٓمٓ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة:١-٢)، إذ تتجلّى فيها وحدة عضوية تربط بين افتتاحية السورة بالحروف المقطعة، ووصف الكتاب، وتحديد غايته، وتعيين الموجه إليهم، وذلك في بنية محكمة تقود المتلقي إلى المقصد الكلي([3]).

وقد علل النورسي هذا التفوّق البلاغي بأن القرآن نازل من مرتبة ربانية لا يرقى إليها كلام المخلوقين، إذ يقول:"إن القرآن قد نزل من الاسم الأعظم ومن أعظم مرتبة من مراتب كل اسم من الأسماء الحسنى، فهو كلام الله، بوصفه ربِّ العالمين، وهو أمره بوصفه إله الموجودات، وهو خطابُه بوصفه خالق السماوات والأرض، وهو مكالمة سامية بصفة الربوبية المطلقة،

---

[1] – إشارات الإعجاز: سعيد النورسي، ص١٢٠

[2] – إشارات الإعجاز: سعيد النورسي، ص١٢٠

[3] – المصدر نفسه: ص١٢٠

وهو خطابُه الأزلي باسم السلطنة الإلهية العظمى"([1])، وهذا الفهم لعلو بلاغة القرآن يتقاطع مع ما قرره الرّماني (ت٣٨٦هـ) حين جعل أرفع طبقات البلاغة خاصة بالقرآن، فقال:"فأما البلاعة فهى على ثلاث طبقات : منها ما هو في أعلى طبقة ، ومنها ما هو في أدنى طبقة ، ومنها ما هو فى الوسائط، بين أعلى طبقة وأدنى طبقة فما كان في أعلاها طبقة فهو معجز ، وهو بلاغة القرآن ، وما كان منها دون ذلك فهو ممكن كبلاغة البلغاء من الناس"([2]).

إن النورسي يُشَبِّه هذا المستوى الأعلى من البلاغة بـ(شجرة النسب) في التفرع والتسلسل، إذ تتولد المعاني من الأصل إلى الفروع، ويكون النص مستعدًا دائمًا لتفريعات جديدة بحسب المقام والغرض، ولعل قصة موسى –عليه السلام– كما يشير إليها نموذجا لهذا الامتداد البلاغي الذي يمنح القارئ قدرة متجددة على التأويل، ويجعل النص القرآني حيًّا ومتجددًا في كل عصر، فيقول:"وأيضاً من أسباب علوّ الكلام أن يكون كشجرةِ النَّسَب يتسلسل متناسلاً إلى المقاصد التي تتدلى على المقام والغرض.. وأيضاً من أسباب رفعةِ طبقة الكلام أن يكون مستعداً لاستنباط كثير من الفروع والوجوه كقصة موسى على نبينا وعليه السلام"([3])، فهذه المرتبة البلاغية العليا، بما فيها من تنسيق شامل وتناسق كلي، تمثل وجهًا من وجوه الإعجاز القرآني الذي لا يبلغ مثله كلام البشر؛ لأنها تعتمد على شبكة من العلاقات الدقيقة بين الجمل والمقاطع تسندها وحدة مقصدية كبرى، وتنبثق عنها دلالات غنية تتجاوز المعنى السطحي، لتدخل في عمق البنية القرآنية المتكاملة.

المسألة العاشرة: سلاسة التعبير وتعيّن المقصد في البيان القرآني:

يرى النورسي أن من وجوه الإعجاز البلاغي البارزة في القرآن الكريم ما سماه بـ(سلاسة الكلام)، وهي الخصيصة الأسلوبية التي تمنح الخطاب القرآني لطفًا في الجريان، وحلاوة في الأثر، ودقة في الوصول إلى المقاصد، دون تعقيد أو التباس، وقد فصّل النورسي هذا المفهوم بقوله:" اعلم أن سلاسة الكلام المنتجة لِلَطافته وحُلْوه هو أن تكون المعاني والحسياتُ المندمجة فيه ممتزجةً تتحدُ أو مختلفةً تنتظم؛ لئلا تتشربَ الجوانبُ قوّةَ الإفادة والغرض، بل يجذبَ المركزُ القوّةَ من الأطراف.. وأيضاً من السلاسة أن يتعيّن المقصد.. وأيضاً منه أن

[1] – الكلمات : سعيد النورسي ، ص١٤٥

[2] – النكت في إعجاز القرآن : الرماني ، ص٧٥

[3] – إشارات الإعجاز: سعيد النورسي، ص١٢٠

يتظاهر ملتقى الأغراض"([1])، فالسلاسة في نظره تتحقق حين تنسجم أطراف المعنى ومراكزه، وتنتظم الحسّيات مع المجردات، ويتعزز الخطاب بتحديد واضح للمقصد، وتآلف داخلي بين الغايات المتفرقة، ولا يتأتّى هذا النوع من البلاغة إلا في خطاب قادر على التوفيق بين اللطف في التعبير والدقة في الأداء والتكامل في البناء.

وهذا التصور البلاغي ينسجم مع ما قرره الخطّابي (ت٣٨٨هـ) في وصفه لعمود البلاغة القرآنية، حين قال:"ثم اعلم أن عمود هذه البلاغة التي تجمع لها هذه الصفات هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به ، الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه : إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام ، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة ، ذلك أن في الكلام ألفاظا متقاربة في المعانى يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب"([2])، فالمعنى المقصود في الخطاب . كما يُفهم من كلام الخطابي . لا يتحقق ما لم يوضع اللفظ المناسب في الموضع المناسب، بحيث يخدم غرضه الخاص ويؤازر المقصد الكلي للنص، وهو ما عبّر عنه النورسي بـ(تعيّن المقصد) و(ملتقى الأغراض)، مشيراً إلى أن البلاغة لا تتأتّى من اختيار المفردات فقط، بل من التحامها وانسجامها في شبكة الدلالة الشاملة.

المسألة الحادية عشرة: سلامة البنية التعبيرية ودفع الأوهام والشبهات:

تمثل سلامة البيان إحدى ركائز الإعجاز البلاغي التي أولاها النورسي عناية خاصة باعتبارها شرطاً في صحة التركيب البياني وفاعليته التأثيرية، وهو لا ينظر إلى سلامة الكلام على أنها مجرّد خلوّه من الخطأ النحوي أو الضعف الأسلوبي، بل يراها في قدرتِه على الإشارة إلى المبادئ والدلائل، والترميز إلى اللوازم والتوابع، والإيماء إلى ردّ الأوهام ودفع الشبهات المحتملة، فكل قيد تعبيري . في نظره . يعدّ إجابة ضمنية عن سؤال مقدّر، وكأن النص يُشيَّد على هيئة خطاب استباقيّ يدفع ما قد يُثار عليه من التباس أو اعتراض، فيحفظ تماسك المعنى ويحميه من الزلل أو التأويل السطحي، يقول:"اعلم أن سلامة الكلام التي هي سببُ صحته وقوّته هي أن يكون الكلام بحيث يشير إلى المبادئ والدلائل، ويرمز إلى اللوازم والتوابع، وبقيود الموضوع والمحمول وكيفياتهما يومئ إلى ردِّ الأوهام ودفع الشبهات؛ كأنّ كلَّ قيدٍ جوابٌ لسؤال مقدّر. وإن شئت مثالاً فعليك بفاتحة الكتاب"([3])، وهو بذلك يقترب من

---

[1] – إشارات الإعجاز: سعيد النورسي، ص١٢٠

[2] –بيان إعجاز القرآن : الخطابي ، ٢٩

[3] – إشارات الإعجاز: سعيد النورسي، ص١٢٠

الرّماني(ت٣٨٦هـ) في توضيحه لمعنى البلاغة بقوله:"إنما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ"([١])، فالكلام البليغ . وفقاً لهذا التعريف . ليس مجرّد حُسن في اللفظ، بل هو حُسن في التأثير، وتأديةٌ دقيقة للمقاصد بأبلغ صورة، وتنعكس هذه الرؤية بجلاء في الممارسة البيانية القرآنية، حيث تتسم سورة الفاتحة . على سبيل المثال . بسلاسة ظاهرة، وتماسك داخلي يجعل كل عبارة فيها استكمالاً لما قبلها، واستعداداً لما بعدها، وكأنها نتيجة لسلسلة من المحاكمات العقلية، وقد عمّق النورسي هذا المعنى في رسائله حين قال:" إن سلامة البيان وصحته: إثبات الحكم بلوازمه ومباديه وبآلات دفاعه، كالآتي: يجب عدم الإخلال بلوازم الحكم، وعدم إفساد راحته، مع رعايته، والرجوع إلى مبادئه لاستمداد الحياة.. وذلك بالتقلد بقيود الإجابة عن كل سؤال مقدر في ردّ الأوهام ودفع الشبهات..أي إن الكلام شجرة مثمرة نضدت فيها أشواكها لحمايتها من اجتناء ثمراتها والتجني عليها، فكأن الكلام نتيجة لكثير من المناظرات والمناقشات وزبدة كثير من المحاكمات العقلية، فلا يسترق منه السمعَ شياطينُ الأوهام ولا يسعهم النظر إليه نظرة سوء، لأن المتكلم قد أحاط بجهات كلامه الستِ وشيّد حوله سُوراً، أي جهّزه بتقييد الموضوع أو المحمول أو بالتوصيف أو بجهة أخرى دفاعاً عن كل سؤال مقدر ووضعها في نقاط يتوقع هجوم الأوهام منها"([٢]).

وهذا النص يُظهر بوضوح كيف يتعامل النورسي مع سلامة الكلام على أنها وظيفة دفاعية، تحيط المعنى بأسوار من القواعد المنطقية والدلالات الضمنية، بحيث لا يكون مجرد بيان جمالي، بل حصناً مانعاً للمعنى من أن يُخترق بتأويل فاسد أو وهم مغرض.

المسألة الثانية عشرة : مراتب الأسلوب البلاغي وخصوصية الأسلوب القرآني:

يتناول النورسي في هذه المسألة تصنيفًا بلاغيًا للأساليب الخطابية، من خلال رؤية تحليلية دقيقة تُظهر وعيه بمستويات البيان واختلاف درجاته بحسب المقام والمقصد، فهو يقسّم الأساليب إلى ثلاثة أنواع رئيسة لكل منها خصائصه ووظائفه البلاغية ومجالاته التعبيرية، ويجعل من هذا التصنيف مدخلاً لفهم ما يميز الأسلوب القرآني عن سائر الأساليب، يقول :" اعلم أن الأساليب على ثلاثة أنواع:

---

[١] – النكت في إعجاز القرآن: الرماني، ص٧٥

[٢] –صيقل الإسلام: سعيد النورسي، ص١٠٣

أحدها :الأسلوب المجرّد، الذي لونه واحد، وخاصّته الاختصارُ والسليقية والسلامة والاستقامة. فهو أملس سويٌّ، ومحل استعماله المعاملاتُ والمحاورات والعلوم الآلية. وإن شئت مثالاً سلساً منه فعليك بكتب السيّد الجرجاني.

والثاني :الأسلوب المزيَّن، وخاصتُه التزيين والتنوير، وتهييج القلب بالتشويق أو التنفير، والمقامُ المناسب له الخطابيات كالمدح والذم وغيرهما والإقناعيات ونظائرهما، وإذا تحرّيت المثال المزيّن فادخل في (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة) ترَ فيهما جِناناً مزيّنة.

والثالث :الأسلوب العالي، وخاصتُه الشدة والقوّة والهيبة والعلوية الروحانية، ومقامُه المناسب الإلهيات والأصول والحكمة، وإن شئت مثلاً بيناً وتمثالاً معجِزاً فعليك بـ(القرآن) فإن فيه ما لا عين رأت ولا خطر على قلب بليغ"([1]).

يمثل الأسلوب في تصنيف النورسي مدخلا نظرياً دقيقاً لفهم طبيعة البيان في الخطاب عموماً، والقرآني خصوصاً، فالأسلوب عنده "قالب الكلام وصورته"([2])، فالأسلوب المجرّد عنده يمثل الحالة الحيادية من التعبير، إذ يخلو من الإيحاءات العاطفية والحمولات الوجدانية، ويُستخدم غالبًا في مقام المعاملات أو العلوم الآلية، حيث تُقدَّم الأفكار بموضوعية عقلانية، بلا تدخل مباشر من ذات المتكلم أو ميوله، وقد وصفه بأنه الأسلوب الذي يتسم بالسلامة والاستقامة والسليقية، وضرب له مثالاً بكتابات السيد الشريف الجرجاني(ت٨١٦هـ) صاحب كتاب التعريفات.

أما الأسلوب المزيّن، فيُستعمل حين يكون الغرض الرئيس من الكلام هو التأثير في المتلقي، لا سيما في مجالات الخطابة والمدح والذم، إذ يمتزج فيه العقل بالوجدان، والبرهان بالعاطفة، فهو أسلوب يقوم على التزيين البلاغي والتنوير البياني، ويستثمر التشبيهات والاستعارات والمحسنات للتأثير في وجدان المخاطب وتحريك نوازعه النفسية، ويضرب له مثلاً بكتابي (دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة) لعبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ)، لما فيهما من جمالية تعبيرية واتساع دلالي مبني على التحليل البلاغي العميق.

في حين أن الأسلوب العالي، وهو الأرفع مرتبة من بين الأساليب الثلاثة يختص بالخطاب الإلهي والموضوعات الكلية من العقائد والحكمة، وهو الأسلوب الذي ينسبه النورسي للقرآن الكريم لما فيه من قوة معنوية، وسمو بياني، وهيبة روحانية، يتجاوز بها نطاق البلاغة

---

[1] – إشارات الإعجاز: سعيد النورسي، ص١٢١

[2] – صيقل الإسلام: سعيد النورسي، ص٩٢

البشرية إلى أفق الإعجاز([1])، وقد وصف النورسي هذا الأسلوب بأنه أسلوب" ما لا عين رأت ولا خطر على قلب بليغ" ليؤكد أن هذا المستوى من البيان هو محل الإعجاز القرآني وموطن سموه الأسلوبي، فهو جامع بين جمال اللفظ، وعمق المعنى، وسعة التأثير.

وبهذا يتبيّن أن الأسلوب القرآني – كما قرّره النورسي – ليس مجرد تنويع بلاغي ضمن الأساليب، بل هو أسلوب متفرّد جامع لخصائص القوة والهيبة والروحانية، مما يجعله في طليعة مراتب البيان ومحلّ الإعجاز، وهو ما يستدعي الوقوف على أبرز خصائصه العامة التي تميّزه عن سائر أساليب الكلام.

[1] – بلاغة القرآن عند بديع الزمان : الدكتور حميد سمير، ص٢٤٥

الخاتمة :

١- أكد النورسي أن جوهر الإعجاز القرآني يكمن في نظم المعاني، مبرزًا أن الألفاظ تابعة للمعاني في الترتيب والدلالة، وهو امتداد لرؤية الجرجاني في دلائل الإعجاز.

٢- قدّم تصورًا فريدًا لـ السحر البياني باعتباره قدرة الخطاب القرآني على تحويل المعاني المجردة إلى صور حسية مؤثرة، مما يعمّق أثر البيان في المتلقي.

٣-اعتبر أن الأسلوب القرآني ليس مجرد زخرفة بل هو قالب الحقائق وصورة المعاني، يعبّر عن النظام الكوني ومناسباته الدقيقة.

٤-شدّد على أن قوة الكلام لا تتحقق إلا بتكامل أجزائه وتساندها نحو مقصد كلي، وهو ما يظهر في البناء القرآني المحكم.

٥-أبرز مفهوم مستتبعات الكلام كوجه من وجوه الإعجاز، حيث تنتج عن التركيب دلالات ضمنية تفتح المجال لتعدد المعاني المشروعة.

٦-صنّف النورسي أنواع المعاني ومراتبها، مبينًا أن القرآن يجمع بين الظاهر والمضمر، الحسي والخيالي، في بنية واحدة.

٧-أوضح أن الخيال البلاغي في القرآن يستند إلى الحقيقة، ليكون أداة لتمثيل القوانين الكونية في صور بيانية.

كشف عن أصالة المعاني في الحروف، مؤكّدًا أن التوسّع الدلالي لا يلغي الأصل بل يثريه بحسب المقام.

٨-بيّن أن القرآن بلغ أعلى مراتب البلاغة التي تعجز العقول البشرية عن مجاراتها، لما فيه من تنسيق شامل يشبه النقش الأعظم.

٩-ميّز بين أنماط الأسلوب البلاغي، ورأى أن القرآن يمتاز بالأسلوب العالي الجامع بين الجلال والجمال، وهو موطن إعجازه.

المصادر والمراجع

- إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز ، سعيد النورسي. (٢٠٠٩). ،الطبعة الأولى. تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، مصر: دار النيل للطباعة والنشر.
- إعجاز القرآن ،الطبعة الخامسة ، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني. (١٩٩٧). تحقيق: السيد أحمد صقر، مصر: دار المعارف.
- بلاغة القرآن عند بديع الزمان النورسي – بحث ضمن ندوة التفسير الأدبي للقرآن الكريم –رسائل النور أنموذجا ،الدكتور حميد سمير. (٢٠٠٦) ، الطبعة الأولى. القاهرة: دار سوزلر.
- بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (١٩٧٩). الطبعة الثالثة. مصر: دار المعارف.
- تفسير التحرير والتنوير .محمد طاهر ابن عاشور، (١٩٨٤هـ).(د.ط). تونس: الدار التونسية للنشر.
- تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو قاسم جار الله الزمخشري (٢٠٠٩). ، الطبعة الثالثة. خرج أحاديثه وعلّق عليه: خليل مأمون شيحا، لبنان: دار المعرفة.
- دلائل الإعجاز ، عبدالقاهر الجرجاني . (١٩٩٥)، (د.ط). تحقيق: د.التنجي، القاهرة: دار الكتاب العربي.
- سيرة ذايتة ،سعيد النورسي (٢٠١١)، الطبعة السادسة. مصر: دار سوزلر.
- شرح كتاب سيبويه ،أبو سعيد السيرافي (٢٠١٢)،الطبعة الثانية. تحقيق:أحمد حسن مهدلي، علي سيِّد علي، لبنان: دار الكتب العلمية.
- الشعاعات، سعيد النورسي (٢٠١١)، الطبعة السادسة. ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، مصر: دار سوزلر.
- صيقل الإسلام ، سعيد النورسي (٢٠٠٢)،الطبعة الثالثة. ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، مصر: دار سوزلر.
- الكتاب، عمرو بن عثمان سيبويه (١٩٨٨) ، الطبعة الثالثة. تحقيق: عبدالسلام هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي.

- الكلمات ، سعيد النورسي (٢٠٠٠). ، الطبعة الثالثة. ترجمة:إحسان قاسم الصالحي ، مصر: دار سوزلر.
- لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور، (١٤١٤هـ) الطبعة الثالثة. بيروت: دار صادر.
- المثنوي العربي النوري، سعيد النورسي (٢٠١٢) ، الطبعة الثانية. تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، مصر: دار سوزلر.
- مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف السكاكي (٢٠٠٠)، الطبعة الأولى. تحقيق: الدكتور عبدالحميد الهنداوي، بيروت: دار الكتب العلمية.
- من الفكر إلى القلب فصول من النقد في العلوم والاجتماع والأدب ،محمد سعيد رمضان البوطي (١٩٩٧) ، الطبعة الثالثة. مصر: دار الفقية.
- نظرة عامة عن حياة بديع الزمان سعيد النورسي، إحسان قاسم الصالحي (٢٠١٠) ، الطبعة الأولى. مصر: دار سوزلر.
- النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، أبو الحسن علي الرماني (١٩٧٩)، الطبعة الثالثة. مصر: دار المعارف.